

مهرجانات الصيف

«بعلبك»: مرسيل خليفة وجاهدة وهبه و«العندليب» محمد عساف

بيار أبي صعب

هناك أماكن تتمنى لو أنك لم تعيش لتزورها، ومناسبات كنت تفضل ألا تحضرها أبداً. كان يفترض أنها مناسبة سعيدة: إطلاق الدورة الثالثة والستين من «مهرجانات بعلبك الدولية» التي تستحق كل حفاوة واهتمام. لكن ما أن تظهر لك القناطر السمجة التي اغتصبت الواجهة الشهيرة، أول شارع الحمرا، حتى يبدأ صدرك بالانقباض، فإذا دلفت إلى الصالة التي كان اسمها ذات يوم «القاعة الزجاجية» لوزارة السياحة، ضاق نفسك، وشعرت بالغثيان. لن تصدق ما ستقع عليه عينك. ها أنت بين أول الشهود على الكارثة التي جرى تدشينها الرسمي في اليوم السابق. القاعة الكبيرة الشرح المضيئة الدينامية البسيطة التي تختصر الرؤيا الحدائرية لصممها المعلم الراحل عاصم سلام، باتت أشبه بردهة فندق سوبر دولوكس في الخليج. أو «مقهى أراكيل»، كما كتبت قبل عام في مكارم في «لوريان لوجور». خلال ورشة «إعادة التأهيل» التي استغرقت سنتين، تعالت الانتقادات والاستغاثات. وكانت زميلتنا إيلا الغصين قد أجرت في «الأخبار» تحقيقاً مفصلاً، عن عبثية «مسح التراث في مبنى يرمز إلى الحدائرية» (12 ديسمبر 2018). لكنّ أهدأ لم يبادر إلى إيقاف الأشغال، والاحتكام إلى لجنة مستقلة من المعماريين والخبراء. لا نقيب المهندسين جاد ثابت تدخل لمنع الجريمة، ولا وزير السياحة الفخور بها، ولا أي مسؤول أو جهة في الدولة!

بعد قليل، فوق المنبر، ستتنافس شخصيات سياسية وفنية وإعلامية على تهنئة ليلى الصلح «شفيعة الخير والجمال» على سخائها، وأفيديس كيدانيان، وزير السياحة الدائم النشوة، على «شجاعته»! الأولى هي ممولة هذا «الصرح العظيم»، والثاني هو حاميه والمدافع عنه، ضد حملة الاحتجاج الواسعة طوال مرحلة «إعادة التأهيل» التي استغرقت سنتين... فلولا كرم رئيسة «مؤسسة الوليد بن طلال للأعمال الإنسانية»، وشراسة فارس السياحة المقدم، لما أمكن لهذه «التحفة المعمارية» أن تبصر النور وتخرج إلى الوجود. فضاء بلا روح، على أنقاض ذاكرة المدينة. فضاء ليس للناس ولا يشبههم. كوكيتل متفجر من قلة الذوق والاعترا ب الثقافي. «قاعة ليلى الصلح حمادة» كما أعيد تطويعها بماء الذهب وبحرف غليظ على جدار المدخل، مظلمة وخائفة بموادها وتقطيعها والاضافات الكارثية.

بسطها الواطئ المرقع بالجفصين، لا تترك لك أن تتنفس. مُسرفة في «شرفيتها» المفتعلة، مثقلة بمظاهر الفخامة التي يجلبها محدثو النعمة. فضاء عاصم سلام كان من علامات الحدائرية العمرانية لبيروت، فأصبح مكاناً هجيناً، ينتحل هوية «تراثية» مزيفة وسطحية، مدعية ومبتذلة. لقد دُمّرت هويته، وطمست معالمه. تخيلوا قصيدة لأدونيس أعاد كتابتها «ناظم» من عصر الانحطاط! ها هي الفلسفة «السوليديرية» تنتقم من المعمار الكبير بعد رحيله، هو الذي قارعها بكل قواه. والأنكى أن الوزيرة السابقة ليلى الصلح جاءت إلى المؤتمر الصحافي فقط لتوقع جريمتها، قالت كلمتين عن رسالتها الخيرية، وانتصارها على حملات «الإساءة»، وغادرت المنصة على عجل.

فوق المنبر، تمنى وزير الثقافة محمد داود، أن تكون المهرجانات «رافعة اقتصادية» أيضاً. وتوقف محافظ بعلبك - الهرمل بشير خضر عند السنوات الصعبة التي صارت وراءنا، بعد الانتصار على الإرهاب، وتصنيف بعلبك منطقة خضراء حسب معايير الأمم المتحدة. ولفت رئيس بلدية بعلبك حسين اللقيس، إلى انتهاء ورشة تطوير البنى التحتية كافة، مؤكداً أن أهل بعلبك ومنطقتها يشعرون بمسؤوليتهم عن تراث مدينتهم الذي يخض البشرية. واستعاد وزير السياح مؤاله عن تخفيض الميزانية، علماً أن المهرجانات «أصبحت على مساحة الوطن» كما تفضل. لكن يبدو أن «بعلبك» أقل تأثراً بالأزمة من سواها، إذا نظرنا إلى عدد المصارف وشركات التأمين والاتصالات التي تدعمها. وربما كان من محاسن هذه الأزمة، على مستوى مهرجانات الصيف ككل، أنها أعطت حيزاً أوسع للأمسيات اللبنانية والعربية.

البرنامج الذي قدّمته نايلة دو فريج، رئيسة لجنة المهرجان، يجمع الجاز والبلوز والبوب والكلاسيك، إلى الطرب العربي والعود وذاكرة العصر الذهبي وأغنية المؤلف، أو «الأغنية الملتزمة». أمسية الافتتاح ستكون مع مرسيل خليفة (5 تموز/ يوليو). «كل الحروب خاسرة» قال لنا مرسيل - والبنادق الطائفية محشوة بالدموع! أمسيته التي تفتتح المهرجان، أراها «وردة معدة للحب، وسنونوة حنين لليالي بعلبك»، وفيها يستعيد مجموعة من أغنياته الشهيرة تحت عنوان «تصبحون على وطن». ترافقه الأوركسترا الفيلهارمونية اللبنانية بقيادة المايسترو لبنان بعلبكي، وجوقة جامعة سيّدة اللوزة بقيادة الأب خليل رحمة.

جاهدة وهبه... الاندلسية



من مصر يعود إلينا هشام جبر بتجربة جديدة، بعدما احتفل على طريقته (السمفونية) بخمسينية أم كلثوم في بعلبك. هذه المرة ستكون «أمسية مع عبد الحليم» حافظ في الذكرى التسعين لولادته. الأغنيات سيؤديها ال «أراب آيدول» الفلسطيني محمد عساف. الجديد أنه عرض موسيقي - غنائي - سينمائي... أي أن الغناء ستواكبه مشاهد سينمائية من أعمال العندليب الأسمر (مونتاج أمير رمسيس). والتوزيع الموسيقي يحمل طبعاً توقيع المايسترو هشام جبر الذي سيقود الأوركسترا الرومانية، بالاشتراك مع موسيقيين من الأوركسترا الوطنية اللبنانية. وتشارك في الغناء الفنانة نهى حافظ (20 تموز/ يوليو).

المواعيد «الغربية»، تبدأ من الجاز والبلوز مع الفرنسية المعروفة ميلودي غاردو (7 تموز/ يوليو) التي كان إبراهيم معلوف قد قدمها للجمهور اللبناني في بعلبك، كضيف شرف، ضمن أمسيته قبل سنتين. اليوم بعد عقد من الغناء، وأربع أسطوانات، باتت غاردو تتمتع بشهرة عالمية واسعة، ولا شك في أن أمسيته ستكون من الأمسيات البارزة هذا الصيف. أما ال pop فتمثل بالمغنية الفرنسية الشابّة جاين Jain التي باتت تجر وراءها جوائز ونجاحات عدّة وأسطوانتين (أول أب/ أغسطس).

وأخيراً موعد مع الكلاسيك تدعمه السفارة الإيطالية ومركزها الثقافي في بيروت. إنّه Requiem جوزيه فيردي الشهير الذي يجمع، في أحضان معبد باخوس، أربعة أصوات مكرّسة في عالم الأوبرا: السوبرانو ماريا أغريستا، والميتزو دانييلا بارتشولونا، والتينور جورجيو بيروجي، والباص جون ريليا. الأب توفيق معتوق الذي يقف وراء التجربة قائداً لـ «أوركسترا الحجرة للإذاعة الرومانية في بوخارست» و«كورس الجامعة الأنطونية»، قدّم لنا التجربة، يوم أمس، بطريقة مشوّقة. تحدث عن «الحج إلى شمس اللفة»، وقال إنّه يفضل تسمية أخرى للعمل الذي يُعتبر «محطة مفصلية في تاريخ الموسيقى»: لنسمّه إذاً «أعظم أوبرا لفيردي»، لأنه ليس تماماً «قداساً للموتى» كما يشرح لنا. ذلك أن فيردي الذي كان «معارضاً للاهوت الخوف الديني كما كان سائداً في القرن التاسع عشر، قلب النص وعدل مساره» ليصبح نشيداً للجسد والحياة. كنا نسمعه ونحاول أن نتنفس. ها قد انتزعنا الأب معتوق من «جحيم ليلى الصلح» إلى السماوات العالية. شكراً أبونا. نراكم هذا الصيف في «بعلبك».

ولعل الذروة ستكون في هيكل باخوس، مع المغنية الفريدة جاهدة وهبه التي تأخذنا بصوتها القوي والرخيم والثقّف، في رحلة حضارية. «عبق الأندلس: من الموشحات إلى الفلامنكو» هو عنوان الأمسية (2 أب/ أغسطس) التي تنسج «فسيكس» شعريّة موسيقيّة غنائية راقصة، من يا ليل الطرب إلى olé الوجد، ومن ولادة بنت المستكفي إلى فدريكو غارثيا لوركا، مروراً بباكو دي لوتشيا، وابن زيدون... يشاركها المغني الإسباني ملكيور كامبوس وراقصة الفلامنكو ليا لينارس. ويرافقها عازف العود عمر (منير) بشير وفرقة. أما ابن المعلم العراقي الراحل، فسيحيي بدوره أمسية موسيقية تكون مسك ختام البرنامج: «عود حول العالم» هو عنوان أمسية عمر بشير الذي يجمع بين الغيتار والعود، بين المناخات العراقية والمجرية. سيؤدي مؤلفات من لبنان والعراق وتركيا، وصولاً إلى الفلامنكو والموسيقى الهندية والتأملية، إضافة إلى مؤلفات لوالده، ومقطوعات من ألبومه الأخير. وسترافقه فرقة من 7 عازفين وجوقة آلات نفخية (3 أب/ أغسطس).